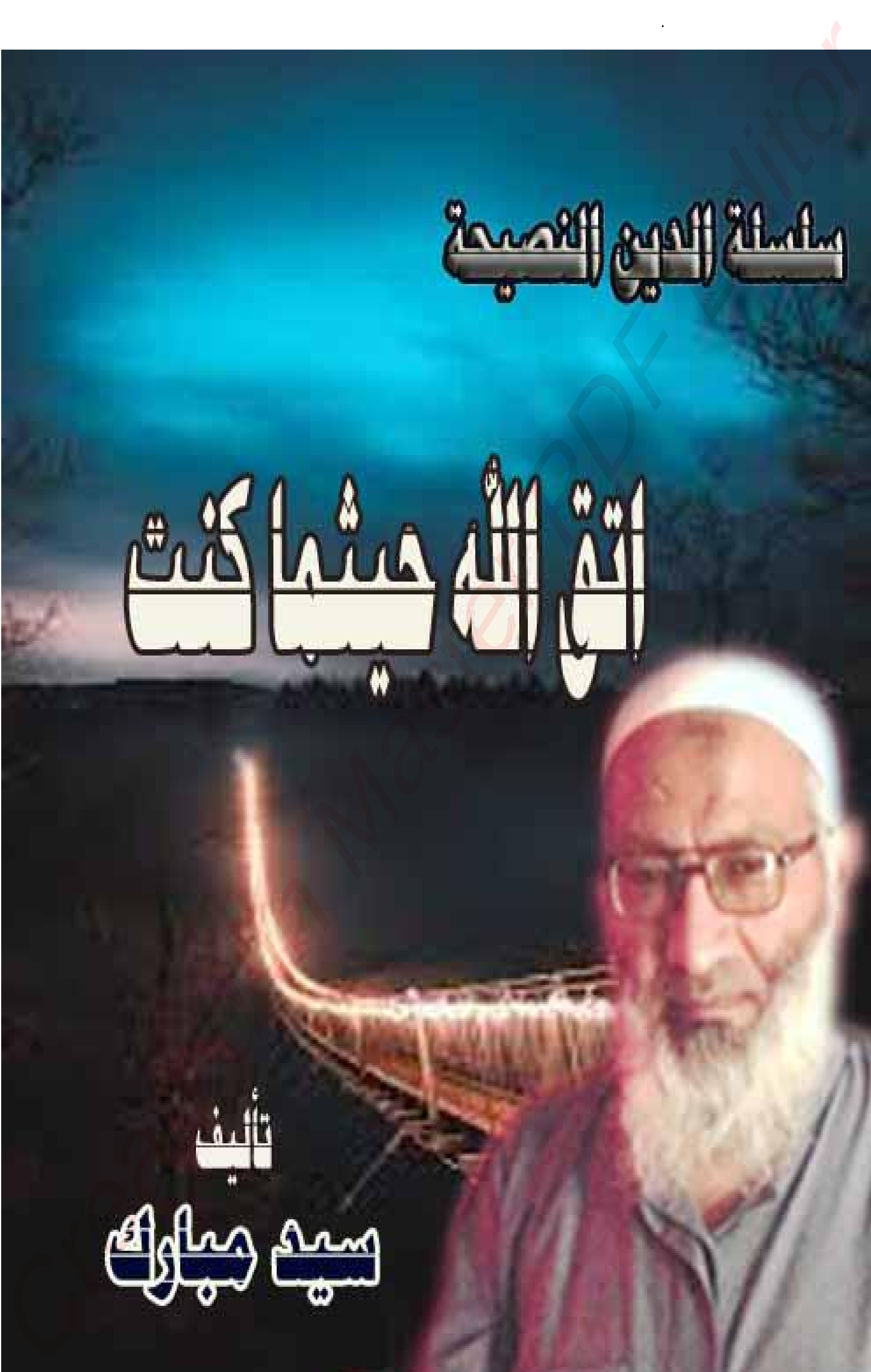

سلسلة الدين النصيحة
اتق الله حيثما كنت
تأليف
سيد مبارك

« مقدمة الكاتب »

الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ...

فإني أستعين بالله تعالى وأستهديه وهو العزيز الحميد، الهادي إلى الصراط المستقيم وأقدم بين يدي القارئ المسلم الجزء الثالث من كتابي « **سلسلة الدين النصيحة** » ، وهي نصيحة على درجة عظيمة من الأهمية ، ولا أغالى إن قلت إنها أهم نصيحة في الدين كله وهى أعظم الوصايا على الإطلاق ، وإنني أتمنى من الله تعالى أن ينفعني وإياكم بهذه الوصية العظيمة ، وأن يجعلها خالصة من

شوائب الرياء وآفات القلوب ، ولا يكون للشيطان فيها حظًا ولا نصيبًا .

أخي القارئ ...

على الصفحات التالية كل ما يتعلق بتقوى الله تعالى ومعناها وحقيقتها ومنابعها وصفات أهلها مسترشدين بالسيرة العطرة للرعيل الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خير قرون الإسلام الثلاثة كما قال ﷺ ، مع بيان الأدلة من الكتاب وسنة رسول الله ﷺ .

* أوصيكم وأوصي نفسي أن نتقي الله تعالى في السر والعلانية ونخلص النية في الأقوال والأعمال فهي أعظم الوصايا التي يبلغ بها الإنسان مراتب الأبرار والدرجات العلى . عسى أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم في محكم آياته : -

﴿ إن الْمتقِينَ في جنات ونهرٍ * في مقعد صدق عند مليك مُقْتَدرٍ ﴾ [القمر الآيتان : ٥٤ -٥٥] .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه سيد مبارك (أبو بلال).

أصل التقوى

أصل التقوى .. هي أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه ذلك ، فمن خاف شدة الحر اتقاه بأن يستظل ، ومن خاف شدة البرد اتقاه بأن يكثر من ارتداء الثياب الثقيلة ، ومن خاف بطش عبد من العباد اتقاه بأن يبتعد عن طريقه حتى لا يؤذيه .

وهكذا . . . ولله المثل الأعلى . . . فتقوى العبد لربه هي أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وقاية تقيه ذلك . . بأن يطيعه فيما قال ويحترز من معصيته فيما نهى عنه حتى لا يتعرض لعقابه يوم القيامة .

* وما أجمل ما قاله الشاعر في هذا المعنى . . .

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عريانًا ولو كان كاسيًا

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان عاصيًا

منابع التقوى

اعلم رحمك الله تعالى أن التقوى لها منبعان اثنان لا ثالث لهما ، وهما كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ .

ولو نظرنا إلى حال العباد في زماننا هذا لوجدنا العجب . فقد طغت العادات والتقاليد والبدع والخرافات على تعاليم الكتاب والسنة ، واختلطت الأمور بعضها ببعض ، وصارت البدعة سنة والسنة بدعة ، والمعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا ، واختلفت وتفاوتت معايير الأمة للأخلاق والقدوة الحسنة ، وصار الدين في حياتنا مجرد شعائر وطقوس وعلاقة بين العبد وربه لا تخرج عن هذه الحدود . . . وليفعل العبد ما يشاء ما دام يعرف حدوده ولا يتعداها إلى حقوق غيره حتى لو كان سلوكه وعمله وسيرته تخالف أصول الكتاب والسنة . . . فهذه حرية شخصية ولا شأن لأحد بها وفي حماية العرف والقانون !!! .

لكن ، ماذا عن تعاليم الكتاب والسنة ؟!! ماذا عن الحلال والحرام ؟!! ماذا عن القيم والأخلاق ؟!! حسبنا الله ونعم الوكيل .

ولقد حذرنا الله تعالى وأمرنا بالعمل بالكتاب والسنة وحذرنا من الضلال في غيرهما فقال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور: ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

** والآن أخي القارئ .. تعال نتحدث عن منابع التقوى ، وهي كما ذكرنا آنفًا لا تخرج عن منبعين اثنين : كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ .

المنبع الأول كتاب الله تعالى ...

ماذا حدث لكتاب الله تعالى ؟

الجواب : - قد تنافس العباد في تعظيمه وتقديسه والمحافظة عليه بطريقة ما أنزل الله بها من سلطان ،

واستغل بعض مرضى القلوب كتاب الله تعالى في التجارة وقاموا بتزيين المصحف بالذهب وماء الذهب ، ومنهم من قام بطبع المصحف كله في ورقة واحدة حروفها غير واضحة لا تراها العين إلا بعدسة مكبرة!!!

ما الهدف من هذا ؟!

الدعوة إلى الله تعالى ؟! حفظ كتاب الله تعالى ؟!

أم هي التجارة وحب المال ؟ لا ريب أن هذا هو السبب ، فالمال مال بالناس عن الحق.

وقل لي بربك .. ماذا يفيد الإسلام والمسلمين عندما يقوم البعض بطبع آيات من القرآن « مثل آية الكرسي أو المعوذتين » أو غيرهما من الآيات القرآنية على الجلود والأقمشة والميداليات والسلاسل التي في أعناق المتبرجات ، وعلى الأجندات والنتائج السنوية وألواح السيراميك..

وهلم جرا ..

وفي رسوم جميلة مزخرفة يشتريها الناس بحسن نية لتعليقها على الحوائط في المكاتب والبيوت كديكور ...

هل لهذا نزل القرآن على أشرف الخلق ﷺ ؟!!

قال الله تعالى : ﴿ **وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً** ﴾ [الفرقان : ٣٠] .

وليت الأمر يقف وينتهي عند هذا الحد من الإسفاف والاستهانة بكتاب الله تعالى ، و إنما زين الشيطان لبعض أصحاب الحرف استغلال كلام الله تعالى في معاملاتهم الدنيوية ، والهدف من ذلك الإيحاء للناس أنهم مسلمون ملتزمون يعرفون كتاب الله تعالى ويتبركون به .. ولكن للأسف الشديد يضعون الآية في غير معناها .

تجد صاحب محل مشروبات (عصير مثلاً) لا يجد غضاضة في كتابة قوله تعالى : ﴿ **وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا** ﴾ [الإنسان : ٢١] .. في مدخل المحل .. فقل لي بربك .. **هل سقاهم ربهم عصير القصب ؟!! .. هل سقاهم ربهم عصير البرتقال ؟ !!**

أليس هذا وضع للآية في غير معناها ، وكأنما التنافس في مثل هذا الأمر الشاذ فيه شرف فلا يجد صاحب

ومالك محل أطعمة (كشري مثلاً) لأخيه صاحب محل المشروبات فضل عليه فيكتب قوله تعالى : ﴿ **كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

والصور من ذلك كثيرة يضيق بها المقام هنا ، وما يثير الدهشة والحيرة أكثر هؤلاء الناس الذين على قلوبهم غشاوة ، يستمعون كلام الله تعالى فيعجبهم ، ويأخذ بلبهم صوت الشيخ الفلاني فيرفعون أصواتهم : الله الله الله ، ويطلبون الإعادة والإفادة وهم يضحكون طربًا ، وربما كانت الآيات التي يرتلها الشيخ تصف عذاب أهل النار والعياذ بالله !! قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

* الطامة الكبرى أن القرآن الكريم لا نذكره إلا في المصائب والمآتم على الأموات ، أو في المناسبات الدينية ، أو في صباح كل يوم جديد في المحلات ووسائل المواصلات لزوم البركة وجلب الرزق ! ثم ما هي إلا ساعة حتى يعم وينتشر تلوث سمعي للبيئة بالأغاني الشبابية أو

الهبابية كما يقولون ، والموسيقى الصاخبة طوال اليوم وهكذا .

أخي القارئ .. قد تفهم من حديثي أني أحرم تعليق آيات الله عز وجل على الجدران أو طبعها أو التجارة المشروعة فيها من أجل نشر الطابع الإسلامي في الشوارع والميادين والمحلات وأماكن العمل والبيوت . . . إلخ .

فهذا قطعًا ما لا أقصده ولا دليل عليه ، وإنما أهاجم بقوة وضراوة شديدتين استغلال كتاب الله تعالى وآياته ، وهذا هو مربط الفرس وبيت القصيد .

وأصارحك القول إنني أتمنى تعميم الطابع الإسلامي في كل مكان . وأتمنى أن أرى في كل خطوة أخطوها في الشوارع والميادين ، حتى محطات الأتوبيسات ما يشعرني أني مسلم في بلد دينه الإسلام . . نعم أتمنى في كل محطة أتوبيس أو ميدان عام يافطة عليها (آية قرآنية) أو (حديث نبوي شريف) أو (كلمة وموعظة حسنة) مع العناية بها وصيانتها كلما محت حروفها أو بهت لونها .

وما أجمل أن تقع عين المسلم على يافطة مكتوب عليها (اذكر الله) فيقول لا إله إلا الله . فيطمئن قلبه وتسكن جوارحه بعد ما كان يفكر منذ لحظة في فلان وفلان وأولاده ومصاريف الدروس الخصوصية . ما أروع أن تقع عين مسلم انشغل بدنياه فيجد أمامه يافطة بحروف جميلة (انتبه . . الموت قادم) فيفيق من غفلته ويعود إلى رشده ، أو جزء من آية قرآنية كقوله تعالى: ﴿ **وبالوالدين إحسانًا** ﴾ يقرؤها المراهقون والمراهقات من الشباب الذين لا يعرفون عن دينهم شيئًا ، وفي زمن صار عقوق الوالدين سمة غالبة على تصرفاتهم . . نعم . . كل هذه صور مشرفة تشرح الصدور والقلوب لأنه يبتغي بها رضا الله تعالى . . أما استغلال آيات الله تعالى رياء أو سمعة ، وفي تجارة غير مشروعة من أجل المال فقط فهذا مرفوض ، وفيه امتهان واستهزاء بكلام الله تعالى .

** المنبع الثاني : سنة النبي ﷺ . .

لا ريب أن السنة فيها من الوصايا والحكم النبوية

الشريفة ما لو عمل بها المسلم لاستقامت حياته وسلوكياته على الصراط المستقيم ، وسنة النبي ﷺ هي المذكرة التفسيرية لكتاب الله عز وجل ، ولهذا أمرنا الله تعالى بإطاعته وعدم مخالفة سنته ﷺ فقال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾ [آل عمران : ٣١ ، ٣٢] . وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

والآيات في طاعة الرسول والعمل بسنته كثيرة أضف إلى ذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ يحذر بها من الحدث في الدين وترك سنته ﷺ وإليك بعض هذه الأحاديث . عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥ / ٢٦٩٧ / فتح) ، ومسلم (٣ / أضية / ١٣٤٣ / ١٧) .

وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

* وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه جيش يقول : « صبَّحكُم ومسَّاكُم » .

ويقول : «بعثت أنا والساعة كهاتين » ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى .

ويقول : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » .

ثم يقول : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ وعليّ »[1] .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » ، قيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة

(١) أخرجه مسلم (٢ / جمعة / ٥٩٢ / ٤٣) وابن ماجه (١ / ٤٥) .

ومن عصاني فقد أبى »[1] .

وبعد .. أخي القارئ هذا كلام الله وكلام رسوله ﷺ عن وجوب العمل بالسنة فما الذي حدث ؟

هل استجبنا لله والرسول ﷺ واجتهدنا في العمل بسنة النبي القولية والعملية والفعلية التي تجمع بين خير الدنيا والآخرة .

واقع الحال يقول وللأسف الشديد إن كثيرًا من العباد لا يتعدى مفهوم السنة في اعتقادهم عن ثلاثة أشياء : قميص أبيض ... لحية غزيرة .. سواك . ويكفي أن ترتدي قميصًا أبيض قصيرًا وتوفر لحيتك وتضع سواكًا في جيبك كي يشار إليك بالبنان « فلان السني » !!! .

ما معنى هذا ؟ هل من يرتدي قميصًا وله لحية وفي جيبه سواك .. سني؟! والذي لا يرتدي قميص وحالق لحيته ويستعمل فرشة أسنان في بيته أو لا يستعمل .. بدعي؟!

---

(١) أخرجه البخاري (١٣ / ٧٢٨٠ / فتح) وأحمد في مسنده (٢ / ٣٦١) .

هل معنى ذلك أن الذي يشير إلى رجل التزم بالشكل الخارجي بأنه « فلان السني » إقرار منه بأنه بدعي ومحدث في الدين ؟ ! .

حقًا .. إن الناس تفتي بغير علم ، وتتكلم بلا وعي .. ألسنا جميعًا أهل سنة ؟ ! فلماذا هذا التخبط ؟!

ولماذا هذه الحساسية من أصحاب الذقون والقمصان البيضاء ؟ !

ومنذ متى صارت السنة الشكل الظاهري فقط ؟!

وإلى متى نتعمد أو نغفل عن آلاف السنن .

أنضحك على أنفسنا أم يضحك علينا الشيطان بتلبيسه .

أين قيام الليل والذكر والاستغفار .. هل هي من السنن أم لا ؟ !!

أين عيادة المريض والإحسان إلى الجار .. هل هي من السنن أم لا ؟ !!

أين صلة الرحم وأداء الأمانة والصدقة .. هل هي

من السنن أم لا ؟ !!

أين الإيثار والمحبة والتواضع .. هل هي من السنن أم لا ؟ !!

أين .. وأين .. وأين ؟ !! آلاف من السنن تركناها وأصبحت عبارة عن قميص ولحية وسواك ؟ !!

يا حسرة على العباد ..

نسوا أو تناسوا أنهم آمنوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولاً وبالإسلام دينًا .

والكارثة أو قل الداهية الأعظم أن وسائل الإعلام على اختلافها تشترك في هذا التشويش ولم تترك حتى الشكل الظاهري إلا وقد اتخذته مادة للسخرية والاستهزاء .

.. إنهم يظلمون السنة .

هذا هو حال أهل التقوى في هذا الزمان مع الكتاب والسنة !! والسؤال .. كيف صار بنا الحال إلى هذا المنعطف الخطير وهذا الضلال المبين ؟ !

والإجابة التي لا مفر من البوح بها : أننا ابتغينا العزة

والارتقاء من غير منهج الكتاب والسنة واتبعنا عادات وتقاليد وبدعًا ما أنزل الله بها من سلطان ، واتخذنا القدوة السيئة وأسرعنا بالتشبه بكل ما هو أجنبي واتبعنا سنن الذين من قبلنا حذو النعل بالنعل .

* ثم ما هي معلوماتنا الدينية عن هؤلاء الصحابة . .

أبو بكر الصديق . . ولماذا سمي بالصديق ؟ !

عمر بن الخطاب ولماذا سمي بالفاروق ؟ !

. . ماذا نعرف عن جهادهما في سبيل نشر دين الله تعالى ؟ !

. . ماذا يعرف المسلم عن أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ؟!

. . أو سيف الله المسلول خالد بن الوليد ؟ !

. . أو سيد العلماء يوم القيامة معاذ بن جبل ؟ !

. . أو الباحث عن الحقيقة سيدنا سلمان الفارسي؟ !

وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين من الرعيل الأول

من صحابة النبي ﷺ .

وشباب اليوم من خريجي المدارس والمعاهد والجامعات[1] ماذا يعرفون عن السلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين .

ما هي معلوماتهم عن هؤلاء :

الحسن البصري . . عمر بن عبد العزيز . . عطاء ابن أبي رباح . أبو مسلم الخولاني . . ميمون بن مهران . . أبو حنيفة النعمان . . مالك بن دينار . . الإمام أحمد والشافعي ومالك أئمة المذاهب وغيرهم من سلفنا الصالح وهم القدوة الحسنة للباحث عن طريق الحق والرشاد . . طريق التقوى والفلاح . . الأمر يحتاج إلى العودة إلى كتب السيرة والتراث للبحث والاطلاع .

فسيرتهم مجهولة . . وأسماؤهم غير معروفة في عقول الشباب . . لكن اسأل الشباب عن هذه المعلومات الخطيرة !!!

---

(١) انظر كتابي « الشباب إلى أين ؟! » .

.. اسألـه عن قـصـة لاعب الكرة مـارادونا مع المخدرات !! اسأله عن الأميرة ديانا وسيرتها العطرة !!

.. اسأله عن أسماء لاعبي الكرة بالأهلي والزمالك بالاحتياطي !!

.. اسأله عن أغاني المطربين والمطربات الأحياء منهم والأموات !!

تجد المعلومات عندهم كثيرة ووفيرة وحاضرة !!

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فيـا حسرة على شـباب اليوم ورجال المسـتقبل كـما يقولون ، في ظل فقـر ثقافي وديني وقدوة سيـئة فظن شرًا ولا تسأل عن الخبر!!!

* ولمعلوماتـك أخي القارئ إن المؤرخين ذكـروا أن أعمار الصحابة عندما آمنـوا بالله ورسوله ﷺ كانوا جميعًا في سن الشبـاب ، فأبو بكر الصـديق أسلم في سن ٣٧ ، وعمر بن الخطاب في سن ٢٦ سنة ، وعثمان بن عفان في سن ٢٠ سنة ، وعلي بن أبي طالب ١٠ سنـين ، وجعـفر

بن أبي طالب في سن ١٨ سنة ، وصهيب الرومي ١٧ سنة . وغيرهم كثير ، وقد كان النبي ﷺ في نهاية عقد الشباب حين بعث ٤٠ سنة .

فما أبعد الفارق بين شباب اليوم وشباب الصحابة .

ما أبعد الفارق بين إيمان الصحابة بالله ورسوله ﷺ وإيماننا نحن . من الظلم أن نقارن أنفسنا بهم . . .

ومن المؤسف حقًا أن نظل على غفلتنا عن منهج الكتاب والسنة .

ولهذا ابدأ أخي القارئ بنفسك فإن الطريق مفروش بالأشواك والجنة لا يدخلها أحد إلا بمشقة وجهد وإليك هذه النصيحة الطيبة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى عسى أن تكون ضوء ينير قلب بعض الغافلين عن طاعة الله تعالى إلى تقوى الله عز وجل . قال : إذا أردت أن تقترب من درجة الصالحين . فأغلق باب الراحة ، وافتح باب الجهد . وأغلق باب النوم ، وافتح باب السهر . وأغلق باب الأمل وتأهب للموت .

تقوى الله أعظم الوصايا

لا ريب أن تقوى الله هي أعظم الوصايا التي يوصي بها .. الزوج لزوجته ، والزوجة لزوجها .. الأب لأبنائه، والأم لأبنائها .. المعلم لتلميذه .. والعالم لمريده .. والصديق لصديقه .. والمسلم لأخيه المسلم .. إلخ .

نعم . هي أعظم الوصايا ورأس الأمر كله ، ولذلك أوصانا الله تعالى بها كما أوصى بها الذين من قبلنا .

قال تعالى :

﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ [النساء : ١٣١] .

* وهي أيضًا وصية النبي ﷺ لأمته ففي الحديث عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون.

فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، قال : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة .. »[1] .

* وهي وصية الأنبياء جميعًا إلى قومهم كما قال عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ﴾ [الشعراء :١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ [الشعراء : ١٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ [الشعراء : ١٦١] .

** وهي أيضًا وصية الصحابة والتابعين بعضهم لبعض من ذلك وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ كان يقول في خطبته :

أما بعد .. فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود (٤ / ح ٤٦٠٧) والترمذي (٥/ح٢٦٧٦) وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة .

.. ولما حضرته الوفاة عهد إلى عمر رضي الله عنه فقال : اتق الله يا عمر .

ومن ذلك وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبد الله بن عمر قال : أما بعد .. فإني أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه من اتقاه وفاه ومن أقرضه جزاه ومن شكر زاده .

ومن ذلك وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل استعمله على سرية قال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا بد لك من لقاه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة .

ومن ذلك وصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى رجل قال : أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين .

وقيل لرجل من التابعين عند موته أوصنا فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل ، فإذا هي قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل:١٢٨] .

وهكذا أخي القارئ . . تجد أنه لا بد لنا من العمل بهذه الوصية العظيمة . . . « اتق الله حيثما كنت .. » .

وتذكر هذه الأبيات الشعرية الرائعة :

تزود من التقوى فإنك لا تدري
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى ويصبح لاهيًا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زينوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرجى طول عمرهم
وقد دخلت أجسامهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

** حقيقة التقوى ومعناها :

قلنا سلفًا إن تقوى الله تعالى هي أعظم الوصايا في الدين كله ، وهي خير ما يستفيد به المسلم في دينه ودنياه ، فإن العلم بالله هو أشرف العلوم وأنفعها ، ولذلك خصها الله تعالى في كثير من المواضع ولأسباب كثيرة فمثلاً :

تقوى الله تعالى قد تكون سببًا لأن تجعل العسير يسيرًا ، والعدو حبيبًا ، والبعيد قريبًا ، وتكون سببًا للرزق من حيث لا يدري العبد ولا يتوقع .

قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا﴾ [الطلاق الآية : ٤] .

قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق ٢ - ٤] .

* وتقوى الله قد تكون سببًا لتكفير الذنوب والمغفرة من رب الأرض والسماء .

قال تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر

عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

* وتقوى الله هي خير الزاد لأولي الألباب يوم القيامة ، اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا حسب ولا نسب فكل هذا إلى زوال ومن اتقى الله تعالى فقد أفلح وفاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

قال تعالى : **﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾** [البقرة :١٩٧] .

* وتقوى الله تعالى نور وهدى لمن تدبر القرآن العظيم وعمل بحلاله واحترز من حرامه .

قال تعالى : **﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾** [البقرة : ٢] .

ولبيان حقيقة التقوى أكثر اقرأ ما كتبه (سيد قطب) رحمه الله في تفسيره لهذه الآية قال : الهدى حقيقته ، والهدى طبيعته ، والهدى ماهيته ولكن لمن ؟ لمن يكون ذلك الكتاب هدى ونورًا ودليلاً ناصحًا مبينًا؟ . . للمتقين .

فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب بل هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك . هي التي تهيئ القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب .

ويستطرد (سيد قطب) رحمه الله تعالى في تفسيره فيقول :

فتلك التقوى . . حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوق لأشواك الطريق . . طريق الحياة الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا وعشرات غيرها من الأشواك [1] . اهـ .

* ثم تأمل أخي القارئ لتدرك حقيقة التقوى تمام الإدراك تفسير قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا

---

[1] تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب / ١ .

الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران ١٠٢] .. فيما ذكره ابن كثير في تفسيره قال : قال ابن عباس في معنى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ أي أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقومون بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه فعياذ بالله خلاف ذلك[1] .اهـ .

* ولزيادة معلوماتك عن حقيقة التقوى لتكون على بينة إليك هذه الآثار عن السلف الصالح :

– ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي ابن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقًا ذا شوك ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير / ١ .

قال : بلى .

قال : فما عملت ؟

قال : شمرت واجتهدت .

قال : فذلك التقوى .

* ولعل أشهر تعريف للتقوى قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سئل عن التقوى فقال التقوى أربعة : الخوف من الجليل .. والعمل بالتنزيل .. والرضا بالقليل .. والاستعداد ليوم الرحيل.

* وها هو عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ينير بصائرنا عن بعض معاني التقوى فيقول :

ليس تقوى الله بصيام النهار ولا قيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترضه الله فمن رزق بعد ذلك خير فهو خير إلى خير .

* وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه : تمام التقوى أن يتقي العبد الله حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا .

ليكون حجابًا بينه وبين الحرام فإن الله تعالى قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴾[الزلزلة: ٧-٨].

- وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم .

- وأخيرًا وليس آخرًا في حقيقة التقوى ومعناها يوضحها لنا جليًا في كلمتين (أبو يزيد البسطامي) رحمه الله تعالى فيقول : التقي من إذا قال ، قال لله . ومن إذا عمل ، عمل لله .

صفات أهل التقوى :

صفات أهل التقوى كثيرة لا حصر لها ولكن نذكر منها أربعًا من الصفات أراها من وجهة نظري لها أهمية خاصة في الوصول بالعبد إلى الاستقامة على طريق الله تعالى موضحين بالأمثلة والقصص والمواعظ الحسنة عن السلف الصالح ما يغذي القلب وينعش الفكر ويحبب النفس إلى الصلاح والتقوى .

ذلك لأننا في حاجة شديدة للقدوة الصالحة التي تقتدي بها .. ولأننا في حاجة إلى إصلاح العيوب والآفات التي في قلوبنا .. ولأننا ابتعدنا عن تعاليم الكتاب والسنة وغرنا بالله الغرور ، فلا بد من العودة إلى طريق الرشاد والاقتداء بسلف الأمة الأطهار في تقواهم وورعهم وخوفهم من الله تعالى وصدق إيمانهم بالله ورسوله ﷺ عسى أن يجعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

(١) **الصفة الأولى** : السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ . نفترض جدلاً أخي القارئ : أنك مريض . فماذا تفعل ؟ .. سوف تذهب إلى طبيب حاذق يشخص لك الداء ويصف لك الدواء . ثم بعد ذلك يطلب منك تناول الدواء على فترات منتظمة ، ذلك من جهة الطبيب ، ومن جهتك أنت تطيع تعليماته حرفيًا حتى يتم الشفاء بإذن الله تعالى . أما لو رفضت وتناولت الدواء كما يحلو لك وأبيت السمع والطاعة فلن يتم الشفاء .. ولله ورسوله ﷺ

المثل الأعلى . الله عز وجل أمرنا بأوامر كثيرة ونهانا عن نواهي كثيرة .. أمرنا : الإحسان إلى الوالدين .. الزكاة والصلاة والصوم .. الحج لمن استطاع إليه سبيلا .. أداء الشهادة وتحصيل العلم .. إلخ .

ونهانا عن السرقة .. الزنا .. أكل مال اليتيم .. قذف المحصنات المؤمنات .. التعامل بالربا .. إلخ .

والنبي ﷺ لا تخلو السنة عن الترغيب والترهيب .

طلب منا إفشاء السلام .. الإحسان إلى الجار .. التواضع والإيثار والمحبة .. الصدق .. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. إلخ .

وحذرنا من هذه المعاصي .. الحسد والحقد .. البخل .. الكذب .. الغيبة والنميمة .. قول الزور .. السحر .. إلخ .

فماذا فعلنا ؟ ! .. هل أطعنا الله ورسوله ﷺ ؟

هل قلنا قول الحق سبحانه : ﴿ **سمعنا وأطعنا** ﴾

وهو قول أهل الإيمان والتوحيد .

.. أم كما قال اليهود .. ﴿ سمعنا وعصينا ﴾ ..

واقع الحال يقول أن المسلمين يستمعون للخطب والدروس من هنا وهناك، ثم تراهم يبكون عندما يستمعون إلى الشيخ (محمد حسان) في خطبته عن وفاة الرسول ﷺ .

وتدمع أعينهم وتزيد دقات قلوبهم رعبًا وخوفًا وهم يستمعون إلى دروس الدكتور (عمر عبد الكافي) في حديثه عن الدار الآخرة .

ويستغفرون ويتعجبون عندما يستمعون إلى الشيخ (محمد حسين يعقوب) في حديثه عن تارك الصلاة . ثم يخرجون ولسان حالهم يقول .. (سمعنا واستمتعنا) .

.. ماذا عن الترهيب والترغيب ؟!!

.. ماذا عن الحلال والحرام ؟ !!

.. ماذا عن الثواب والعقاب ؟ !!

هيهات.. هيهات .. كل هذا يذهب هباء مع بياض القلوب ، وحسن الظن بالله تعالى ورحمته، وشفاعة النبي المختار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* (حكاية) .. حكي أن هارون الرشيد رحمه الله تعالى حج ، فعلم أن رجلاً انفرد لعبادة الله بجبل « أبي قبيس » ، وظهرت على يديه الكرامات ، فطلب إلى أمير مكة أن يصحبه لزيارته ، فذهبا إليه في صومعته ، واستأذنا في الدخول عليه ، فأذن لهما ، ولما دخلا سلما عليه أوما إليهما بالتحية ، ثم أشار إليهما بالجلوس فجلسا فقال له أمير مكة : إن الجالس بين يديك أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فأومأ برأسه محييًا وظل على صمته فلم يتكلم ، فقال له الرشيد : عظني .. فالتفت إليه ولم يتكلم .. ثم أمسك بعصاه وخط بها على الأرض .. (إني أستحي أن ألقي الله وقد أمرتك فأطعتني بعد أن أمرك هو فعصيته) .. فتأثر الرشيد ، وبكى بكاء شديدًا ، وقال : والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا عنك ، واستأذن في الانصراف مع صاحبه ، فأذن لهما[1] . اهـ .

وتدبر جيدًا هذه الآيات الكريمات من كتاب الله تعالى ففيها الكفاية وإليها المنتهى ..

(١) الأنابيش لعبد الرحمن الضبع / ٦ .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور : ٤٧ – ٥٠].

وإليك أخي القارئ هذه الآثار الطيبة لتدرك مدى حب السلف الصالح وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ .

* من ذلك ما جاء في البخاري ومسلم عن عابس ابن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر ، (يعني الأسود) ويقول : أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)[1] .

* ومن ذلك ما قاله الصديق رضي الله تعالى عنه

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ح ١٥٩٧ / فتح) ، ومسلم (٥ / حج / ٩٢٥ / ٢٥١) .

بعد أن أصبح خليفة لرسول الله ﷺ قال في خطبته : «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»[١] .

وكان أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يتسابقان فيما بينهما في طاعة الله ورسوله وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلت اليوم أسبق ، إن سبقته يومًا ، فجئت بنصف مالي ، فقال ﷺ . ما أبقيت لأهلك ؟ . . قلت : مثله .

قال : وأتى أبو بكر - رضي الله عنه- بكل ما عنده. فقال ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك ؟** ». قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا[٢] .

ومن هذه الآثار الطيبة يتبين لك أخي القارئ . . إلى

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية وقال هذا إسناد صحيح .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر (٥ / ٦١٤) وقال هذا حديث حسن صحيح.

أي مدى وصلت طاعة الصحابة للنبي ﷺ وعملاً بسنته والاهتداء بهديه فهو الأسوة الحسنة كما أخبرهم الله جل وعلا في كتابه العزيز : قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

الصفة الثانية : الخوف من الله تعالى :

اعلم رحمك الله أن أهل التقوى دائمًا على خوف ووجل دائمين . .

خوف من الله تعالى يوم القيامة . . وخوف من سوء الخاتمة في الدنيا . . لماذا ؟ ! لأنهم قد وعوا قول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى**

ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[1] .

نعم الخوف من الله وسوء الخاتمة كان الشغل الشاغل للصحابة والسلف الصالح أطار النوم من عيونهم والطمأنينة من قلوبهم ، وقد كان يتمنى الواحد منهم لو لم يخلق حتى لا يحاسبه الله تعالى على الرغم من أنهم أقرب الناس من رسول الله ﷺ ، وأفضل الأمة إيمانًا ويقينًا وتقوى ، كانوا كما وصفهم (ابن القيم) فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل .

- ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع آية فيمرض أيامًا ، وأخذ يومًا تبنة من الأرض فقال : يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئًا مذكورًا. يا ليت أمي لم تلدني، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء[2] اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ح٦٥٩٤/ فتح) ومسلم (٤/ قدر/ ٢٠٣٦/ ح١).

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي / ١ .

- وروي أيضًا عنه رضي الله عنه أن رجلاً لقيه فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فقد ظلمني .. فرفع عمر درته وخفق بها رأس الرجل وقال له: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم ، مقبل عليكم حتى إذا شغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه :

أعدني . أعدني . فانصرف الرجل غضبان أسفًا ، فقال عمر علي بالرجل . فلما عاد ناوله مخفقته وقال له : خذ واقتص لنفسك مني قال الرجل : لا والله ، ولكني أدعها لله وانصرف . ولما عاد إلى بيته رضي الله عنه جلس يحاسب نفسه ويقول : ابن الخطاب ؟ .. كنت وضيعًا فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله . ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته ، فماذا تقول لربك غدًا إذا أتيته ؟ .. وظل خائفًا يترقب ..[1] اهـ .

* وعثمان بن عفان رضي الله عنه من خوفه كان يقول : وددت أني إذا مت لا أبعث .

---

(١) من كتاب خلفاء الرسول لخالد محمد خالد .

* وأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول : يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل.

* وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تقول : يا ليتني كنت نسيًا منسيًا .

* وسيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما كان يقول : يا ليتني كنتُ رمادًا تذروه الرياح .

وكذلك كان التابعين من بعدهم .. وها هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ، ويبكى حتى تجري دموعه على لحيته ، ويبكى ليله فبكى أهل الدار ، فلما تجلت عنهم العبرة قالت فاطمة زوجته : بأبي أنت يا أمير المؤمنين .

لم بكيت ؟ ! .. قال : ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير .. ثم صرخ وغشي عليه .

* ولما حضرت سفيان الثوري الوفاة ، جعل يبكى ، فقال له رجل يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب ، فرفع شيئًا

من الأرض وقال : والله لذنوبي أهون عندي من هذا ولكن أخاف أن أسلب الإيمان قبل الموت .

وذكر عن الربيع بن خثيم أنه كان لا يزال باكيًا خائفًا ساهرًا بالليل فلما رأت أمه ما به من الجهد ، نادته ، أقتلت قتيلاً ؟ .. قال : نعم .. قالت : فمن هو حتى نطلب العفو من أوليائه ؟ .. فوالله لو يعلمون ما تلقاه لرحموك .. قال يا أماه ، قتلت نفسي !! وتسأله ابنته يومًا: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام ؟! قال : إن جهنم لا تدعني أنام .

وغشي على (مسروق) في يوم صائف وهو صائم .. فقالت له ابنته أفطر .. قال : ما أردت بي ؟ قالت : الرفق . قال : يا بنية إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم مقداره خمسين ألف سنة .

وبعد ... هكذا كان الرعيل الأول من السلف الصالح .. كانوا رجالاً عرفوا الله وخافوه حتى بلغت القلوب الحناجر .

.. أما رجال هذا الزمان .. أصحاب القلوب البيضاء العامرة بحب الله تعالى !! الذين أنساهم الشيطان ذكر الله .

الذين لا يفترون عن مشاهدة الأفلام والتمثليات .

وأطالوا الأمل في دنياهم وعمروها على حساب أخراهم ... عمروا دور السينما والمسارح .. وافترشوا الحدائق والنوادي .

.. وناموا يحلمون بزينة الحياة الدنيا . فأصبحوا لا يصبرون على البلية ولا يشكرون عند النعمة .

.. وإذا سمعوا المنادي ينادي حي على الصلاة .. حي على الفلاح ترى عيونهم قد زاغت .. وقلوبهم قد لاهت .. وصدروهم قد ضاقت . وعقولهم قد ضمرت .. وألسنتهم قد أبكمت وصاروا كما قال الله تعالى إلا من رحم ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ [البقرة : ١٨] .

نسأل الله لنا ولهم الهداية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الصفة الثالثة : الرحمة والشفقة على خلق الله تعالى :

الرحمة والشفقة فطرة طبيعية في النفس السوية والآيات والأحاديث النبوية كثيرة تحض على الرفق والرحمة منها : قوله تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [فصلت : ٣٤ - ٣٥] .

ومن الأحاديث :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ﷺ :

« **إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه** »[1] .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس ليقعوا فيه ، فقال النبي ﷺ :

---

(١) أخرجه مسلم (٤ / بر / ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ / ح٧٧) .

«دعوه ، وأريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »[1] . و(السجل) بفتح السين المهملة وإسكان الجيم، وهي الدلو الممتلئة ماء ، وكذلك الذنوب .

- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف ، فإن فيهم الضعيف والسقيم ، والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء »[3] .

وفي رواية : « وذا الحاجة » .

---

(١) أخرجه البخارى (١ / ح٢٢٠/ فتح) والنسائى (١/ح٥٦) .

(٢) أخرجه البخارى (١٠/ ٦٠١١/ فتح) بلفظ « ترى المؤمنين » ومسلم (٤/ بر/ ١٩٩٩ / ٦٦) .

(٣) أخرجه البخارى (٢/ ٧٠٣/ فتح) ومسلم (١/ صلاة/ ٣٤١/ ١٨٤) .

* وقصص الرحمة والشفقة على عباد الله كثيرة منها على سبيل المثال :

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما . فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه . فسمع بكاءه . فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك . ثم عاد مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها : ويحك ، إني لأراك أم سوء ، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة ، إني أريغه عن الفطام فيأبى قال : ولم قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم . قال : وكم له ؟ قالت : كذا وكذا شهراً .

قال : ويحك لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال : يا بؤسا

لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديًا فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإنا نفرض لكم مولود في الإسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام[1] .اهـ .

– وروى أيضًا عن عمر رضي الله عنه (أن رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس ، وهو شيخ كبير ، فقال له عمر : ما أنصفناك ، أخذنا منك الجزية ما دمت شابًا ، ثم ضيعناك اليوم . وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين)[2] . اهـ .

فتأمل أخي القارئ رحمة عمر بن الخطاب بخلق الله واذكر دائمًا أن من لا يرحم لا يُرحم كما قال النبي ﷺ .

– هذا وقد بلغت رحمة الإسلام ونبي الإسلام مبلغًا عظيمًا حتى مع الحيوان الأعجم . حقًا . إنك أخي القارئ تنتمي إلى دين رحمة وسماحة فكن دائمًا فخورًا معتزًا بدينك الذي هداك الله تعالى إليه .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ .

(٢) من كتاب تنبيه الغافلين للسمرقندى .

*** ومن الأحاديث العظيمة في رحمة الإسلام بالحيوان ما يلي :**

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»** [1] .

ومعنى (يلهث) أي يخرج لسانه من شدة العطش ، و(الثرى) التراب الندى .

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال : **« عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »** [2] . وخشاش

---

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٢٣٦٣ ، ٢٤٦٦/ فتح) ومسلم (٤/ السلام/ ص١٧٦١/ ح١٥٣) .

(٢) أخرجه البخارى (١١/ ح٦٢٨٨/ فتح) ومسلم(٤/ سلام١٧١٧/ ح٢١٨٣) .

الأرض هي هوامها وحشراتها .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه ، فقال : « لعن الله الذي وسمه »[1] .

هكذا بلغت رحمته ﷺ بالحيوان وأمرنا بالرحمة والشفقة عليهم للدرجة التي يثاب الإنسان عليها بالجنة أو يعذب بسببها في النار والعياذ بالله .. ولم لا والله تعالى أرسله للعالمين قائلاً له : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء الآية : ١٠٧] .

وبعد كل هذا تسمع أخي القارئ .. ممن ينتسبون إلى جمعيات الرفق بالحيوان إن الإسلام دين لا يعرف الرحمة بالحيوان ، وهذا كذب وافتراء : قال تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف : ٥] .

الإسلام عرف الرحمة بالحيوان ، منذ أكثر من

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ لباس / ١٦٧٣/ح١٠٧) .

١٤٠٠ عام قبل أن تنشأ هذه الجمعيات .. وإني أخص بالذكر ممثلة الإغراء الفرنسية (برجيت باردوا) التي وصفت المسلمين بأنهم متوحشون ! .. لماذا ؟! لأنهم يذبحون الخراف في عيد الأضحى بكميات كثيرة !!!

.. يا لرقة قلبها ورحمتها وحبها للحيوانات ...

.. ما لها وللمسلمين ؟!! .. نقول لها ولأمثالها من دعاة حقوق الحيوان .. لكم دينكم ولنا دين .. ويقولون إن في بيتها تأوي عشرات من القطط والكلاب وحيوانات شتى !! .

تأنس بهم ويؤنسون بها . وربما بعد موتها يرثونها !!

.. فقد تعودنا منهم على كل شاذ وغريب عن الفطرة . . هذا شأنهم .. لكن ما لها ولخراف المسلمين؟ ! نحن إنما نؤدي مناسكنا طاعة لربنا وهو أرحم الراحمين ..

الصفة الرابعة : الدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو

أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » . . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين .. وعامتهم »(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا »(٢) .

والآيات والأحاديث عن فضل الدعوة والداعي لله تعالى كثيرة يضيق بها المقام هنا ، ولكن لا بديل عن الدعوة من أجل نصر دين الله تعالى ، ولقد ظل النبي ﷺ ١٣ سنة في مكة و١٠ سنوات في المدينة يدعو إلى الله

---

(١) أخرجه مسلم (٥/ حج/ ٩٧٤/ ٤٠٩)وأبو داود (٢/ ١٧٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / العلم / ٢٠٦٠ / ١٦) وأبو داود (٤/ ٤٦٠٩) .

تعالى حتى أتاه اليقين ، ومن بعده صحابته والتابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فهي فريضة من الله على كل مسلم وبأي وسيلة كانت . يقول تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم .. ﴾[التغابن : ١٦] .

.. إن رزقك الله علمًا فادع إلى الله وعلم مما علمك الله فزكاة العلم إخراجه .

.. وإن رزقك مالاً فتصدق وساعد إخوانك ويسر على معسر فإنها تجارة مع الله لا تبور .

.. وإن رزقك صحة وعافية ولم يرزقك مالاً أو علمًا فساعد إخوانك واخدمهم وابتسم في وجه أخيك وأدخل السرور عليه فهذه دعوة لله وفي سبيله عز وجل .. وهكذا .. وتأمل معي هذه الأساليب في الدعوة وكن من أهلها وادع إلى الله على بصيرة بلا تنطع أو تشدد أو غلو وقل قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾[يوسف:١٠٨] .

وإليك ثلاث وسائل من وسائل الدعوة الطيبة :

*** الوسيلة الأولى : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:**

* عن أبي أمامة قال : إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا !! فأقبل القوم عليه، فزجروه ، وقالوا مه مه (وهي كلمة زجر) .

فقال ﷺ : « ادنه » ، فدنا منه قريبًا . قال : فجلس .

فقال ﷺ : « أتحبه لأمك ؟ »

قال : لا والله ، جعلني الله فداك .

فقال ﷺ : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » .

ثم قال ﷺ : « أفتحبه لابنتك ؟ »

قال : لا والله يا رسول الله ، جعلني الله فداءك .

قال ﷺ : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » .

ثم قال ﷺ : « أفتحبه لأختك ؟ »

قال : لا والله ، جعلني الله فداءك .

قال ﷺ : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » ، ثم قال ﷺ : « أفتحبه لعمتك ؟ » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال ﷺ : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » .

ثم قال ﷺ : « أفتحبه لخالتك » ؟ قال : لا والله، جعلني الله فداءك . قال ﷺ : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » .

قال : فوضع يده عليه ، وقال : « اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه وحصن فرجه » ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1] .

إنها دعوة عملية بالأسلوب الحكيم والكلمة الطيبة والحكمة التي تدخل أغوار القلب فتزلزل كيان الإنسان وترجه رجًا فيذعن للحق ويعتزل الباطل بلا رجعة ، فكن كالحبيب المصطفى ﷺ في تواضعه وحلمه وحكمته وصبره وهو القائل ﷺ :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٢٥٦ ، ٢٥٧) .

خمر النعم »[١] .

* **الوسيلة الثانية : الدعوة بالمال :**

أما إن رزقك الله مالاً فأنفق مما رزقك الله وتأمل معي . . هذا الموقف الكبير لسيدنا عثمان رضي الله عنه فقد كان في المدينة قبل قدوم النبي ﷺ بئر يقال له بئر رومة، كانت أعذب آبار المدينة وكان لا يشرب منها أحد إلا بثمن . وكان صاحبها يهودي - وقيل مسلم فلما ضاق الأمر بالمسلمين قال ﷺ : **« من حفر بئر رومة فله الجنة »**[٢] . وانطلق عثمان ليكسب الجنة ، فاشترى البئر بخمسة وثلاثين ألف درهم . . وقيل عشرين ألف درهم فجعلها للغني والفقير وابن السبيل .

- والثابت أيضًا عنه رضي الله عنه في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن أصابت الناس سنة مجدبة أخذت الأخضر واليابس حتى سمى عامها لشدة قحطه بعام

---

(١) أخرجه البخارى (٦/ ح٢٩٤٢ / فتح) ، ومسلم (٤ / فضائل الصحابة / ١٨٧٢ / ٣٤) .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى (٥ / ٢٧٧٨ / فتح) .

الرمادة ، ولما ازداد الكرب ، وبلغت القلوب الحناجر أقبلوا على عمر وقالوا : يا خليفة رسول الله ، إن السماء لم تمطر ، وإن الأرض لم تنبت وقد قارب الناس على الهلاك فماذا نصنع ؟ !

قال عمر : اصبروا واحتسبوا ، فإني أرجو أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم .

فلما كان آخر النهار ، وردت الأخبار بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام ، وأنها ستصل المدينة عند الصباح فما أن قضيت صلاة الفجر حتى هب الناس يستقبلون العير جماعة إثر جماعة .

وانطلق التجار يتلقفونها ، فإذا هي ألف بعير قد حملت براً وزيتاً وزبيباً .. بركت بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه .. فدخل التجار على عثمان وقالوا : بعنا ما وصل إليك يا أبا عمرو .

فقال : حباً وكرامة ولكن كم تربحوني على شرائي ؟

فقالوا : نعطيك بالدرهم درهمين .

فقال : أعطيت أكثر من هذا فزادوا له .

فقال : أعطيت أكثر مما زدتموه . فزادوا له .

فقال : أعطيت أكثر من هذا .

فقالوا : يا أبا عمرو ، ليس في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد . . فمن الذي أعطاك أكثر مما أعطيناك ؟ !

فقال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة؟

قالوا : لا يا أبا عمرو.

فقال : إني أشهد الله تعالى . . أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة على فقراء المسلمين . . لا أبتغي من أحد درهمًا ولا دينارًا وإنما أبتغي ثواب الله ورضاه .

. . نعم لا تتوان عن الإنفاق بمالك في سبيل الله تعالى .

*** الوسيلة الثالثة : الدعوة بالعلم :**

تأمل واقتد أخي القارئ . . بهذا الحوار في أسلوب الدعوة لمن رزقه الله علمًا بين الإمام أبي حنيفة رحمه الله

تعالى و(جهم بن صفوان) رأس الفرقة (الجهمية) الضالة المبتدعة فهو حــوار يدل على غزارة علم أبي حنيفة وبديهته رحمه الله رحمة واسعة .

جاء جهم بن صفوان إلى أبي حنيفة يناظره .

قال : لقد أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك .

فقال أبو حنيفة : الكلام مـعك عار ، والخوض فيما تذهب إليه نار تلظى .

فقــال جهم كـيف حكمت عليّ بما حكمت وأنت لم تلقني من قبل ، ولم تسمع كلامي ؟ !

فقال أبو حنيفة : لقــد بلغتني عنك أقاويل لم تصدر من رجل من أهل القبلة .

فقال جهم : أتحكم علي بالغيب ؟

فقــال أبو حنيفة : لقــد شهر ذلك عنك واستـفاض وعرفته العامة والخـاصة ، فجاز لي أن أثبته عليك بما تواتر عنك .

فقال جهم : أنا لا أريد أن أسألك إلا عن الإيمان .

فقال أبو حنيفة : أو لم تعرف الإيمان إلى هذه الساعة حتى تسألني عنه ؟! .

فقال جهم : بلى ، ولكني شككت في نوع منه .

فقال أبو حنيفة : الشك في الإيمان كفر .

فقال جهم : لا يحل لك أن تصمني بالكفر إلا إذا سمعت مني ما يكفر .

فقال أبو حنيفة : سل عما بدا لك .

فقال جهم : أخبرني عن رجل عرف الله بقلبه وعلم أنه واحد لا شريك له ، ولا مثيل وعرفه بصفاته وأنه ليس كمثله شيء ، ثم مات ولم يعلق الإيمان بلسانه . . أفيموت مؤمنًا أم كافرًا ؟ !

قال : يموت كافرًا ، ويكون من أهل النار ، إذا لم يصرح بلسانه عما عرفه بقلبه ما لم يمنعه من التصريح باللسان مانع .

قال جهم : كيف لا يكون مؤمنًا وقد عرف الله حق معرفته ؟! .

فقال أبو حنيفة : إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به وإن كنت لا تؤمن بالقرآن ولا تراه حجة كلمتك بما نكلم به من خالف الإسلام .

قال جهم : بل أؤمن بالقرآن وأجعله حجة .

فقال أبو حنيفة : إن الله تبارك وتعالى جعل الإيمان بجارحتين اثنتين بالقلب واللسان لا بواحدة منهما .

وكتاب الله وحديث رسول الله طافحان بتقرير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣ - ٨٥] . فهم عرفوا بجنانهم ونطقوا بلسانهم فأدخلهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقال تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا

أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

. . فأمرهم بالقول ولم يكتف منهم بالمعرفة والعلم.

ثم استطرد أبو حنيفة يقول : وقال ﷺ : « **قولوا لا إله إلا الله تفلحوا** » . . فلم يجعل الفلاح بالمعرفة وحدها وإنما ضم إليها القول . . وقال ﷺ : « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله** » . . فلم يقل يخرج من النار من عرف الله .

ولو كان القول لا يحتاج إليه ويكتفى بالمعرفة من دونه لكان إبليس مؤمنًا . . لأنه عارف بربه ، فهو يعلم أنه هو الذي خلقه ، وهو الذي يميته ، وهو الذي أضله . قال تعالى على لسانه : ﴿ .. **خلقتني من نار وخلقته من طين** ﴾ [الأعراف : ١٢] .وقال تعالى : ﴿ **فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ [الأعراف : ١٦]. وقال تعالى :

﴿**رب فأنظرني إلى يوم يبعثون** ﴾ [الحجر : ٣٦] .

ولو كان ما تزعمه صحيحًا لكان كثير من الكفار مؤمنين بمعرفتهم لربهم مع إنكارهم له بلسانهم قال تعالى :

﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم .. ﴾ [النمل : ١٤] .

فلم يجعلهم مؤمنين باستيقانهم وإنما عدهم كافرين لجحود ألسنتهم ، ومضى أبو حنيفة يتدفق على هذا النسق تارة بالقرآن وأخرى بالحديث حتى بدأ الانبهار والضعف على وجه (جهم) . وانسل من بين يدي أبي حنيفة وهو يقول لقد أذكرتني شيئًا كنت ناسيه ، وسأرجع إليك .

ثم مضى إلى غير عودة[1] اهـ .

وأخيرًا وليس آخرًا إن كان الإنسان لا يملك الحكمة ولا العلم ولا المال فقد يرزقه الله تعالى نعمة الصحة والعافية فليشكر الله تعالى على هذه النعمة ويساعد إخوانه بالجهد ما استطاع لذلك سبيلاً ولتذكر قول الله تعالى :

﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾ [الحج : ٧٧] .

وقول النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن

(١) من كتاب صور من حياة التابعين .

فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[1] .

وبعد أخي القارئ . . هذه أربع صفات من صفات أهل التقوى أسأل الله لك ولي وللمؤمنين أن نكون منهم وأن يحشرنا معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

أحبائي في الله ..

إلى أن نلتقي في الجزء الرابع من السلسلة أستودع الله دينكم وأمانتكم إنه نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين .

وكتبه سيد مبارك (ابو بلال)

---

(١) أخرجه البخارى (٥ / ٢٤٤٢ / فتح) .

الفهرس